Comprehensive Journal of Science
Volume (10), Issue (39), (March, 2026)
ISSN: 3014-6266

مجلة العلوم الشاملة
المجلد (10) ملحق العدد 39 مارس 2026
ردمد: 3014-6266

الأنشطة السياسية للرحالة الألمان في ليبيا خلال القرن التاسع عشر: غيرهارد رولفس (1831 – 1896) نموذجا

*سليم رجب الحجازي **عبدالله ابراهيم الشاعث

قسم التاريخ كلية الآداب جامعة عمر المختار

Political activities of German travelers in Libya during the 19th century: Gerhard Rohlfs (1831 – 1896) as an example

*Saleem Rajab Al-hijazi **Abdallah Ibrahim Al-Shaith

University of Omar Al-Mokhtar University of Omar Al-Mokhtar

Saleemalhejazey@gmail.com

تاريخ الاستلام:2026/02/1 –تاريخ المراجعة:2026/03/1– تاريخ القبول: 2026/03/25– تاريخ للنشر : 2026 /04/21

ملخص البحث:

شهدت ليبيا خلال القرن التاسع عشر وصول أعداد كبيرة من الرحالة الأوروبيين، وكان للرحالة الألمان تحديدًا حضوراً مميزاً، وكانت هذه الرحلات تنطلق من دوافع متعددة: علمية، دينية، سياسية، وعلى الرغم من اخفاء الرحالة الألمان لدوافعهم السياسية؛ إلا إنها تبدو واضحة خاصة منذ ستينيات القرن التاسع عشر، ويبدو النشاط السياسي للرحالة الألمان في ليبيا أكثر وضوحاً لدى (غيرهارد رولفس) تحديدًا، والذي مارس نشاطاً استكشافياً واسعاً في ليبيا خلال الفترة ما بين 1864 – 1879، كما واصل اهتمامه بليبيا حتى بعد هذا التاريخ ولو عن بُعد، من خلال المقترحات التي كان يقدمها للحكومة الألمانية.

كلمات مفتاحية: ألمانيا – طرابلس – ليبيا – دوافع سياسية – رولفس.

Abstract:

During the nineteenth century, Libya witnessed the arrival of large numbers of European travelers, and German travelers in particular had a distinctive presence. These trips were launched from multiple motives: scientific, religious, and political. Despite the German travelers concealing their political motives; However, it seems clear, especially since the sixties of the nineteenth century, and the political activity of German travelers in Libya seems more clear to (Gerhard Rohlfs), in particular, who carried out extensive exploratory activity in Libya during the period between 1864 and 1879, and he also continued his interest in Libya even after this date. Even remotely, through the proposals he was presenting to the German government.

Key Words: Germany - Tripoli - Libya - Political Motives - Rohlfs.

مقدمة

لقد شهد القرن التاسع عشر حركة استكشافية أوروبية نشطة شملت كل أجزاء القارة الإفريقية، وقد اضطلع بهذه المهمة عدد من الرحالة الذين تجولوا في كافة انحاء القارة، وكانت ليبيا تحديدًا مثار اهتمام عدد من الرحالة سواءً لاستكشاف البلاد نفسها أو لاتخاذها منفذا نحو وسط افريقيا، وكان للرحالة الألمان تحديدًا حضوراً مميزاً في ليبيا عن بقية نظراؤهم الأوروبيين، ومن الرحالة الألمان الذين زاروا الأراضي الليبية خلال القرن التاسع عشر: (فردريك موللر) سنة 1824 – 1825م و (كريستيان ايفالد) سنة 1835م و(هاينريش بارت) مرتين الأولى سنة 1846م والثانية سنة 1850م و (ادولف اوفرفيج) سنة 1850م و(ادوارد فوجل) سنة 1853م و(فيلهيلم هاينا) سنة 1859م و(ألكسندر فون كرافت)

سنة 1860م و(موريتز فون بويرمان) سنة 1862م و(غيرهارد رولفس) اربع مرات 1864، 1865، 1869، 1878 – 1879م و(غوستاف ناختيجال) سنة 1869م و(هاينريش فون مالتسان) سنة 1869م و(ادولف كراوزه) مرتين 1868 – 1869، 1878 – 1882، و (ارفين فون باري) ما بين سنتي 1875– 1877م و(اوغست فرويند) سنة 1881 و(يورغ شفاينفورت) سنة 1882 و(هانس شتوما) ما بين سنتي 1896 – 1897 و(هوغو غروتا) ما بين سنتي 1895 – 1897.

والواقع أن هذا العدد الكبير من الرحالة الألمان كان ينطلق من دوافع مختلفة: علمية، دينية، سياسية، وأحيانا تلتقي عدة دوافع خلال الرحلة الواحدة، ومما يلاحظ على نشاط الرحالة الألمان في ليبيا خلال القرن التاسع عشر إنه قد سيطرت عليه الدوافع السياسية منذ مطلع ستينيات القرن وذلك بالتزامن مع نمو مملكة بروسيا واقتراب تحقيق الوحدة الألمانية، وبالتالي بدأ التخطيط للحصول على مناطق نفوذ في قارة أفريقيا أسوة بغيرها من الدول الأوروبية، وكانت ليبيا هدفاً محتملاً لتلك المخططات الألمانية.

ومن بين الرحالة الألمان جميعاً فإن (غيرهارد رولفس) هو الأكثر نشاطاً سياسياً في ليبيا من بقية مواطنيه، وهذا يتضح من كثرة قدومه إلى ليبيا وعدم اقتصار نشاطه على منطقة معينة وقد استمر نشاط (رولفس) في ليبيا ما بين سنتي 1864 – 1879م، كما إن اهتمامه بليبيا لم ينقطع حتى بعد هذه الفترة ولو عن بُعد.

أهداف البحث: نهدف من هذا البحث إلى دراسة نشاط الرحالة الألماني غيرهارد رولفس في ليبيا وابعاده السياسية سواءً في المنطقة الغربية من ليبيا (طرابلس – فزان) أو المنطقة الشرقية (برقة)، وهو نشاط يرتكز بعض منه على الأراضي الليبية نفسها، والبعض الآخر تمثل فيه الأراضي الليبية منطلقا نحو تشاد التي كانت هي الأخرى هدفاً لمشاريع ألمانيا الاستعمارية، كما نهدف أيضا إلى دراسة القلق الفرنسي من نشاط رولفس السياسي في ليبيا والذي كانت فرنسا تعتبره موجهاً ضدها.

أهمية الموضوع: تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يتطرق إلى الدوافع غير المعلنة للرحلات الاستكشافية الأوروبية والألمانية تحديدًا في ليبيا، وهي الدوافع السياسية والتي كثيراً ما تختبئ خلف ستار البحث العلمي.

المنهج المتبع: وقد استخدمنا في هذا البحث المنهج السردي التاريخي القائم على التسلسل الزمني للأحداث وفق ما تقتضيه طبيعة الموضوع.

خطة البحث: وينقسم هذا البحث إلى تمهيد هو عبارة عن سيرة ذاتية ل(غيرهارد رولفس)، ويتلو هذا التمهيد أربعة مباحث يتناول الأول نشاط رولفس في الجزء الغربي من ليبيا، أما المبحث الثاني فهو يبحث في نشاط رولفس في منطقة واحات جنوب شرق ليبيا (جالو – أوجلة – الكفرة)، في حين يتناول المبحث الثالث مقترح رولفس بإنشاء مستعمرة ألمانية شمال شرق ليبيا، ويأتي المبحث الرابع ليعالج مسألة القلق الفرنسي من نشاط رولفس السياسي في ليبيا، وينتهي هذا البحث بخاتمة تلخص أهم ما توصلت إليه من استنتاجات.

الدراسات السابقة: لقد أُجريت العديد من الدراسات حول شخصية غيرهارد رولفس ورحلاته، تعددت هذه الدراسات ما بين كتب أو فصول في كتب أو مقالات منشورة. وقد تطرق مؤلفوها إلى الجانب السياسي لهذه الرحلات، ومن هذه الدراسات على سبيل المثال لا الحصر:

1. Bolte,Günter. (2019) Gerhard Rohlfs: Anmerkungen zu einem bewegten Leben.

(غونتر بولتا، (2019) غيرهارد رولفس: ملاحظات عن حياة حافلة بالحركة)، وقد تطرق مؤلف هذا الكتاب إلى نشاط رولفس في ليبيا في عدة فصول؛ حيث تناول في نهاية الفصل التاسع أول زيارة يقوم بها رولفس إلى ليبيا سنة 1864م، كما تناول في بداية الفصل العاشر رحلة رولفس الثانية والتي انطلق فيها من مدينة طرابلس إلى ممالك السودان الغربي سنة 1865م، كما خصص الفصل الثاني عشر لرحلة رولفس الثالثة سنة 1869م من طرابلس إلى الإسكندرية، وفي

الفصل الخامس عشر تناول رحلة رولفس إلى الكفرة سنة 1879/1878م. وقد تميز هذا الكتاب بأن مؤلفه قد استعان بكم كبير من الوثائق غير المنشورة، كما انتهج الباحث اسلوبًا نقديًا لمعظم الدراسات السابقة التي اجريت حول شخصية غيرهارد رولفس

2. Reiman Dawe, Tracy. (2021) The Role of US Railroads in the German Expansionist Mindset of Gerhard Rohlfs (Chapter in book) German and United States Colonialism in a Connected World Entangled Empires.

(رايمان داوي، تريسي. (2021) دور سكك الحديدية الأمريكية في الفكر التوسعي الألماني: غيرهارد رولفس) وقد تطرقت مؤلفة هذا الفصل إلى مسألة محددة وهي مقترح رولفس بإنشاء خط للسكك الحديدية من طرابلس إلى مرزق ثم إلى وسط افريقيا وصولًا إلى سواحل الكاميرون.

الواقع أن هاتين الدراستين كانتا مفيدتين لنا في هذا البحث، على الرغم من أنهما تتناولان نشاط رولفس في افريقيا عمومًا وليس في ليبيا فقط.؛ وعليه فإن مهمتنا في هذا البحث تتركز بصورة اساسية على نشاط رولفس السياسي في ليبيا فقط، وعدم التطرق إلى مناطق خارج ليبيا إلا إذا دعت الضرورة العلمية.

تمهيد: غيرهارد رولفس: حياته ورحلاته 1896 – 1831

ولِد (غيرهارد رولفس) سنة 1831م في بلدة (فيغيزاك) بالقرب من (بريمن) شمال ألمانيا، وقد شهدت مسيرته التعليمية الكثير من التعثر منذ مراحلها الأولى، والامر نفسه بالنسبة لدراسته الجامعية والتي حاول خلالها دراسة الطب، لكنه لم يفلح رغم تنقله بين جامعات (هايدلبرغ) و(فورسبورغ) و(غوتنجن) (Scottish Geographical Magazine, 1897, 28) ليتجه بعد ذلك إلى الخدمة العسكرية، حيث التحق بجيش مقاطعة (بريمن) ثم جيش مقاطعتي (شلزفيج – هولشتاين)، في فترة كانت فيها ألمانيا لا تزال مجزأة، وتخوض صراعاً، ضد جيرانها النمساويين والدانيماركيين، وفي سنة 1854م التحق (رولفس) بالجيش النمساوي لبضعة أشهر (Bolte, 2019, 19 – 23)، ثم سافر إلى الجزائر سنة 1855م ليلتحق بالفيلق الأجنبي بالجيش الفرنسي، وقد عمل في منطقة القبائل تحديداً، واستمرت خدمته في هذا الفيلق حتى سنة 1860م، تمكن خلالها من تعلم اللغة العربية (Allaby, 2010, 191) وفي سنة 1861م سافر إلى المغرب محاولاً الحصول على فرصة للعمل كطبيب بجيش السلطان (محمد الرابع) (Baaijens, 2008, 60 – 63).

ويرى الباحثان أن الفترة التي قضاها (رولفس) في المغرب ما بين 1861 – 1863م كانت بالغة الأهمية في حياة المستكشف الألماني، إذ إنه خلال هذه السنوات تحددت توجهاته نحو الرحلة والاستكشاف والتي ستستمر حتى مرحلة متقدمة من عمره، فخلال هذه الفترة تغلب (رولفس) على حالة التشتت والاضطراب التي كان يعيشها سواءً في ميوله (طبيب، عسكري، رحالة)، أو في انتمائه وولاءه (النمسا، فرنسا، المغرب، ألمانيا) ، ونستطيع القول إن (رولفس) قد اتخذ قراره بالانخراط في مجال الرحلة والاستكشاف، وكذلك العمل لصالح بلاده ألمانيا ممثلة في مملكة بروسيا التي كانت تمثل وقتها نواة الوحدة الألمانية.

وقد قام خلال تواجده بالمغرب بعدد من الرحلات الداخلية إلى مناطق جنوب المغرب: (تادكلت – تافيلالت – وزان)، وكان (رولفس) يخشى من السفر كمسيحي لاعتقاده بتعصب السكان المحليين، وهذا ما دفعه إلى اعتناق الاسلام – ظاهرياً – وقام بتغيير اسمه إلى (مصطفى)، وبلغ حرصه على إثبات اسلامه إلى حد قيامه بإجراء عملية الخِتان تحسباً للوقوع في فبضة السكان المسلمين (Rohlfs, 1874 (A), 13 – 16)، وفي عام 1863م توجه من طنجة إلى الجزائر وهناك التقى بشقيقه (هيرمان) والذي سلمه مذكراته عن رحلاته السابقة، وقد قام (هيرمان) بتسليمها إلى الجغرافي الألماني (أوغست بيترمان) صاحب المجلة الجغرافية الشهيرة المتخصصة في نشر تقارير الرحالة (Petermann Mittheilungen) وقد لقيت تقارير (رولفس) اصداءاً إيجابية في ألمانيا، كما لقي كثيراً من التعاطف والدعم خاصة وإنه

قد تعرض لهجوم أثناء هذه الرحلة نتج عنه جروح بليغة في يديه، (Guenther, 1912, 40 – 49) وخلال هذه الفترة عاد (رولفس) إلى ألمانيا في زيارة سريعة، ثم سافر مجدداً إلى الجزائر بهدف القيام برحلة إلى (تمبكتو – وسط جمهورية مالي حاليًا)، تلك الرحلة التي قادته في النهاية إلى واحة (غدامس) الليبية ثم إلى مدينة (طرابلس) التي وصلها لأول مرة في آخر يوم من سنة 1864م، وعلى الرغم من مغادرته السريعة وعودته إلى ألمانيا، إلا إنه قد عاد في نفس السنة ليقوم برحلته الطويلة من (طرابلس) إلى (لاغوس)، مروراً بـ(غدامس – مرزق – كوكا – كانو)، ومن ميناء لاغوس سافر بحراً إلى بريطانيا ومنها عاد إلى ألمانيا ((Rohlfs, 1867, 372 – 380.

وبعد هذه الرحلة تم تكليف (رولفس) سنة 1868م بمهمتين: الأولى توصيل رسالة وهدايا من ملك بروسيا إلى حاكم مملكة (كانم – برنو)، والثانية السفر إلى الحبشة لمرافقة الحملة البريطانية المصرية، وإعداد تقرير عنها، مما اضطره إلى تكليف رحالة ألماني آخر بالرحلة إلى (كوكا) بدلاً عنه وهو (غوستاف ناختيجال) (Guenther, 1912, 89, 101 – 103)، وبمجرد الانتهاء من ترتيبات رحلة (غوستاف ناختيجال) فقد غادر (رولفس) بحراً من (طرابلس) إلى (بنغازي)، وبعد جولة في الجبل الأخضر، اتجه إلى مصر عن طريق واحات (أوجلة) و(سيوة)،وبعد عودته إلى ألمانيا فقد كلف بمهمة استخباراتية في تونس تستهدف تأليب السكان ضد فرنسا (Liebrenz & Rauch, 2019, 3)، بعد ذلك التحق (رولفس) بخدمة خديوي مصر والذي كلفه برحلة لاستكشاف واحات الصحراء الغربية خلال الفترة ما بين 1873 – 1874 م، كما قام (رولفس) بالسفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1875م بدعوة من جامعاتها لإلقاء بعض المحاضرات (Guenther, 1912, 137,150))، وفي سنة 1878م يعود (رولفس) مجدداً إلى ليبيا للقيام برحلة من مدينة (طرابلس) إلى واحات (الكفرة) وكان مخططاً لهذه الرحلة أن تصل (واداي) في تشاد، غير إن هذه الرحلة قد تعرقلت بسبب موقف أهالي (الكفرة)، وسرعان ما تم تكليف (رولفس) بمهمة أخرى إلى الحبشة سنة 1880م ، ثم انتقل نشاطه إلى (تنجانيقا) والتي كانت إحدى مناطق النفوذ الألماني في شرق أفريقيا، حيث تم تعيينه قنصلاً عاماً لها سنة 1884م، غير أنه غادرها في العام التالي، ليستقر نهائيا في ألمانيا، حيث عمل بالتدريس في بعض الجامعات الألمانية حتى موته سنة 1896م (Ratzel, 1906, 484 – 489).

المبحث الأول: نشاط رولفس في الجزء الغربي من ليبيا

ما أن حلّ (رولفس) بمدينة (طرابلس) للمرة الأولى في ديسمبر1864م، حتى صرح "إن مدينة طرابلس هي مفتاح افريقيا؛ وأن من يسيطر عليها يسيطر على وسط افريقيا"، والواقع أن (رولفس) لم يأتِ بجديد بهذا الشأن؛ فمدينة طرابلس كانت هي البوابة الشمالية المُثلى للرحالة الأوروبيين الراغبين في الوصول إلى وسط إفريقيا منذ مطلع القرن التاسع عشر، حيث انطلق منها عدد من الرحالة البريطانيين مثل (جورج ليون) و(جوزيف ريتشي) 1818م و الفريق المكون من: (هوغ كلابرتون، ديكسون دينهام، وولتر اودني) 1821م و (ألكسندر لاينج) 1825م (Wright, 2012, 87 – 88) غير إن أهمية هذا التصريح تؤكد بوضوح الطبيعة السياسية لرحلات (رولفس) ونظرته إلى موقع ليبيا الاستراتيجي.

إنه من المهم مناقشة الطريقة التي وصل من خلالها (رولفس) إلى الأراضي الليبية، حيث يروي (رولفس) إنه كان متجهاً نحو (تمبكتو – شمال مالي حالياً)، ثم إن رحلته انعطفت شرقاً من (توات) في جنوب الجزائر لتنتهي في (غدامس) عند ملتقى الحدود التونسية – الجزائرية – الليبية، معللاً ذلك بنفاذ أمواله (Rohlfs, 1865, 228)، ولكن هل كان (رولفس) يجهل طريق (تمبكتو) وما تقتضيه من تكاليف؟ وحتى لو انحرف عن مساره فليس إلى الحد الذي يجعله ينعطف إلى (غدامس)، وبالتالي نحن أمام رحلة كانت متجهة جنوباً إلى (تمبكتو) على حواف الصحراء الكبرى، ثم فجأة نجدها تنتهي في (طرابلس) الواقعة شمالاً على ساحل البحر المتوسط، وهو مسار غريب يوحي بأن (رولفس) كان متجهاً نحو (طرابلس) منذ البداية، ومما يدعم هذه الفرضية أن (رولفس) كان قد تحصل على تصريح من حكومة (اسطنبول) يسمح له بالتجول في أراضي ولاية طرابلس الغرب (ليبيا)، بل وحصل أيضا على لقب (بك) من السلطان العثماني شخصياً

(Rohlfs, 1881 (B), 12)، وهذا يقود إلى استنتاج آخر وهو أن نشاط (رولفس) لم يكن ذي طبيعة شخصية؛ بل كان موجهاً من قبل حكومة بروسيا، فهي من سعت لدى سلطات (اسطنبول) لمنح (رولفس) هذه التسهيلات، كما إن (رولفس) كان يُستقبل من طرف باشوات (طرابلس) شخصياً، ولا يُعامل كرحالة عادي.

ويتّضح اهتمام (رولفس) بطرابلس من خلال عودته في العام التالي ليقوم برحلة إلى مملكة (كانم – برنو)، الواقعة على الضفاف الشمالية والغربية لبحيرة تشاد، وهي منطقة باتت تحظى باهتمام الدوائر السياسية الألمانية، ومن الواضح أن الأراضي الليبية كانت هي المنفذ الافضل نحو ممالك السودان الغربي والأوسط من وجهة النظر الألمانية، ويتزامن هذا التوجه الألماني مع تراجع الاهتمام البريطاني بأهمية الأراضي الليبية، فمنذ مطلع ستينيات القرن التاسع عشر، صرفت بريطانيا نظرها عن (طرابلس) و(مرزق)، فقامت بسحب ممثليها الدبلوماسيين في (مرزق) سنة 1861م، ثم في (غدامس) 1862م، وباتت بريطانيا مقتنعة بأن الطريق الجنوبي عبر نهر النيجر هو الأمثل للدخول إلى وسط افريقيا، والجدير بالذكر أن هذه القناعة البريطانية قد جاءت بناءً على توصيات رحالة ألماني آخر وهو (هاينريش بارت) والذي قضى خمس سنوات متنقلاً – باسم بريطانيا – ما بين (طرابلس) و(كوكا) و(تمبكتو) خلال الفترة ما بين 1850– 1855م (Wright, 1989, 69) وكانت الدوائر السياسية البريطانية قد تشككت في سلوك (بارت) مُتهمة إياه بالعمل لصالح بلاده ألمانيا، وعدم الاخلاص لبريطانيا التي هي الدولة الداعمة لرحلته (Benton, 1968, 49) وبما أن (بارت) و(رولفس) كانا على تواصل؛ حيث كان (بارت) يقدم النصح والتوجيه لمواطنه (Rohlfs, 1865, 227) فإن الشكوك البريطانية حول (بارت) كانت لها مبرراتها.

وخلال هذه الرحلة يلاحظ (رولفس) عدم وجود قنصلية لأيٍّ من الولايات الألمانية في طرابلس، ولهذا فقد دعا إلى ضرورة أن يكون للألمان قنصلية خاصة بهم في العاصمة طرابلس، حيث إن مسؤولية رعاية الألمان كانت منوطة بالقنصلية النمساوية على اعتبار تبعية الولايات الألمانية – ولو إسمياً – لملكية (هابسبورغ) (Rohlfs, 1874 (B), 9)، غير إن الرعايا الألمان في الأراضي الليبية – وهم قليلون – كانوا يفضلون الحماية البريطانية، إذ إن معظم الرحالة الألمان قدموا انفسهم في طرابلس على أنهم رعايا بريطانيين (Ewald,1842, 145)، وقد رأت حكومة بروسيا حينها عدم الحاجة لإنشاء قنصلية في طرابلس؛ بسبب قلة أعداد الرعايا الألمان في ليبيا؛ ولكن في مطلع ثمانينيات القرن التاسع عشر وتزايد المصالح الألمانية في ليبيا، فقد عمدت ألمانيا إلى فتح وكالة قنصلية لأول مرة في طرابلس الغرب سنة 1884م (Central Blatt, 1884, 221).

ومن الواضح أن التطورات السياسية في شمال أفريقيا كانت هي الدافع لذلك، خاصة بعد الاحتلال الفرنسي لتونس سنة 1881م والاحتلال البريطاني لمصر سنة 1882م، حيث باتت ألمانيا تخشى وقوع ليبيا تحت سيطرة إحدى القوى الأوروبية ما يعني تهديد المصالح الألمانية في البلاد.

ومن الملاحظ إن (رولفس) عند توجهه من مدينة (طرابلس) إلى مدينة (مرزق) في طريقه إلى (كانم)، قد انعطف غرباً للمرور بواحة (غدامس) والتي استقر بها ما بين يونيو – أغسطس من سنة 1865م (Bolte, 2019, 213) ، إن توجه (رولفس) إلى (غدامس) وهي ليست على خط سير الرحلة، ما يعني مزيداً من التكاليف واهداراً للوقت؛ يعكس بوضوح مدى اهتمام (رولفس) بهذه الواحة تحديدًا، والتي تحتل موقعاً استراتيجياً مميزاً عند نقطة التقاء الحدود بين ليبيا (ولاية طرابلس الغرب)، وتونس، والجزائر الفرنسية، وكذلك باعتبارها منطلقاً للوصول إلى (توات – جنوب غرب الجزائر) و (تمبكتو – وسط مالي).

أما عن مدينة (مرزق) الواقعة جنوب غرب ليبيا والتي أقام بها (رولفس) خمسة أشهر، فقد خصص جزءاً من اهتمامه لتجارة الرقيق، معطياً انطباعاً عن المدينة كأحد أهم مراكز هذه التجارة، وقد اقترح (رولفس) إنشاء محطة أوروبية في مدينة (مرزق) تعمل على تحرير الرقيق وتوطينهم، ثم تحويلهم إلى المسيحية البروتستانتية (Rohlfs, 1874 (B), 151, 159

162, 171 –) وهو مقترح يمكن أن يؤدي إلى خلق طائفة سكانية موالية تبيح التدخل لحمايتها عند تعرضها لأية انتهاكات من طرف حكومة طرابلس أو من عامة السكان، والواقع أن مكافحة تجارة الرقيق كانت إحدى ذرائع التدخل التقليدية التي كانت تنتهجها القوى الأوروبية للتدخل في بلدان شمال ووسط افريقيا.

وفي أثناء تواجده في (مرزق) فقد توثقت علاقته مع أحد أفراد الاسرة الحاكمة السابقة في (فزان)، وهو (محمد البصيركي) حفيد آخر ملوك فزان من اسرة (أولاد امحمد الفاسي)؛ والتي سبق أن اطاح بها العثمانيون سنة 1811م، ويتضح أن (البصيركي) لايزال يطمح إلى استعادة حكم أسرته في فزان، ويطلب من (رولفس) أن يتواصل مع حكومة بروسيا للحصول على الدعم لتحقيق هذا الهدف، غير أن (رولفس) لا يلقي بالاً لمطالب (البصيركي) والذي يصفه بأنه مدمن على تعاطي الخمور (Rohlfs, 1874 (B), 166 – 167, 176) وربما كان (رولفس) يرى أن تحقيق المصالح الألمانية يكمن في التعاون مع حكومة طرابلس، وليس بإثارة الحركات الانفصالية.

وعند مروره بمنطقة (بوركو) شمال غرب تشاد، والتي كانت حكومة طرابلس الغرب تعتبرها تابعة لها، فإن (رولفس) يشير إلى انتشار الحركة (السنوسية)، تلك الحركة التي تأسست في منطقة الجبل الأخضر شمال شرق ليبيا في بداية أربعينيات القرن التاسع عشر، على يد رجل الدين الجزائري الأصل (محمد بن علي السنوسي)، والذي نجح في كسب ثقة سكان منطقة (برقة) وحصل على تأييد شيوخ قبائلها، وتمكنت (السنوسية) من مد نفوذها إلى واحات جنوب شرق ليبيا وشمال تشاد (Pritchard, 1949, 11 – 12, 21 – 22) وباتت تشكل سلطة موازية لسلطة حكومة طرابلس الغرب، وقد تطرق (رولفس) إلى النشاط التعليمي الذي يمارسه (السنوسيون) في (بوركو) والذي يشمل الأطفال والفتيات أيضاً (Rohlfs, 1867, 375) ويقول بأن انتشار (السنوسية) بين قبائل (التبو) في (بوركو) قد جعل الأخيرين أكثر تطرفاً (Rohlfs, 1866, 34) وتبدو كتابات (رولفس) حول هذه المسألة تحديداً أشبه بتحذير من سياسة الحركة (السنوسية) وسرعة انتشارها، والواقع إن انتشار الحركة (السنوسية) وفي هذه المنطقة تحديداً كان يشكل مصدر قلق للدول الأوروبية الاستعمارية، حيث بدا واضحاً للأوروبيين أن (السنوسية) قد شرعت بتأسيس دولة لها ما بين ليبيا وتشاد، وهو أمر من شأنه أن يعرقل التوسع الاستعماري الأوروبي في المنطقة.

و مما يؤكد بأن (رولفس) كان يقود حركة استكشافية ممنهجة تستهدف الأراضي الليبية كمعبر نحو وسط افريقيا، هو عودته بعد ثلاث سنوات، للقيام برحلة أخرى إلى مملكة (كانم– برنو) انطلاقاً من طرابلس، ولكن هذه المرة كمبعوث رسمي من ملك بروسيا إلى حاكم (كانم – برنو)، حاملاً هدايا ورسالة شكر عن حسن استقبال ذلك الحاكم للرحالة الألمان الذين زاروا بلاده في السنوات الاخيرة (بارت – اوفرفيج – فوجل)، ونظراً لارتباط (رولفس) بمهمة سياسية أخرى في (الحبشة) فقد تقرر أن توكل مهمة سفارة (كانم – برنو) إلى مستكشف ألماني آخر هو (غوستاف ناختيجال) (Nachtigal, 1879, 7)، والواقع أن وجود (رولفس) في مدينة طرابلس بالتزامن مع تواجد ثلاثة رحالة ألمان آخرين مرتبطين به وهم (غوستاف ناختيجال – هاينريش فون مالتسان – غوتلوب ادولف كراوزه) (Willink, 2011, 179) هو في حد ذاته مؤشر قوي على مدى الاهتمام الألماني بمدينة طرابلس كنقطة انطلاق إلى مناطق وسط افريقيا.

وخلال مشاركته في المؤتمر الجغرافي الذي عقد في (بروكسل) بدعوة من ملك بلجيكا (ليوبولد الثاني) في سبتمبر سنة 1876م – وهو مؤتمر ذو طبيعة سياسية الهدف منه احداث توازن وتفاهم أوروبي بخصوص توزيع مناطق النفوذ في أفريقيا – ألقى (رولفس) كلمة بعنوان (أهمية طرابلس في حد ذاتها أو كمعبر نحو اواسط افريقيا) (Die Bedeutung Tripolitaniens an sich und als Ausgangs punkt für Entdeckungs Reisende)، لخصت هذه الورقة سياسة (رولفس) ونظرته الاستراتيجية نحو مدينة طرابلس وليبيا عموماً، كان أبرز ما جاء في هذه الورقة هو مقترحه بإنشاء محطة في طرابلس لدعم الرحالة الأوروبيين الذين يرغبون في استكشاف دواخل افريقيا انطلاقاً من طرابلس (Rohlfs, 1881(A), 19 – 20)، كما تضمنت مقترحات (رولفس) أيضا مد خط للسكك الحديدية من طرابلس إلى

خليج غينيا، يمكن أن يسهل عملية التواصل بين سواحل الأطلسي والمتوسط، وهي فكرة استوحاها (رولفس) من خلال زيارته للولايات المتحدة الأمريكية وقد اعتبر (رولفس) أن خطوط السكك الحديدية كانت من أهم عوامل النهضة الاقتصادية الأمريكية (Reiman – Dawe, 2021, 63 – 69).

المبحث الثاني: نشاط رولفس في منطقة واحات الجنوب الشرقي

منذ ستينيات القرن التاسع عشر فقد حصل الألمان على مناطق نفوذ في سواحل (الكاميرون) و(التوغو) (Lewin, 1914, 22) وكانت المخططات الألمانية تسير في اتجاهين متوازيين يتمثل الأول في مد النفوذ الألماني شمالاً حتى بحيرة (تشاد)، ويتمثل الثاني في الحصول على منفذ يمكن من خلاله الوصول إلى الأراضي التشادية من الشمال؛ تجنباً للدوران حول غرب أفريقيا، وكانت منطقة برقة (الجزء الشرقي من ليبيا) تمثل منفذاً مثالياً يمكن أن يخدم الطموحات الألمانية.

ومن المعروف أن الحركة التجارية بين إقليم (برقة) – والذي يمثل النصف الشرقي من ليبيا – ومملكة (واداي) التشادية كانت نشطة منذ مطلع القرن التاسع عشر، خاصة بعد تدشين طريق (ابشا – الكفرة – بنغازي)، برعاية ملك (واداي) المدعو (عبدالكريم صابون) سنة 1811م (Traiud, 1995, 132)، وترجع أول محاولة ألمانية للعبور من هذا الطريق إلى سنة 1862م، عندما حاول المستكشف (موريتز فون بويرمان) الوصول إلى (واداي) عن طريق (جالو – الكفرة)، غير أن هذه المحاولة قد باءت بالفشل، إذ إن طرفا هذا الطريق وهما تجار قبيلة (المجابرة) سكان واحة (جالو) الليبية وحكومة (واداي) لا يرحبان بأيّ نشاط أوروبي في مناطقهما، فقد رفض تجار (المجابرة) التعاون مع (بويرمان) (Ruselli, 1914, 358)، والذي أُجبر على الوصول إلى (واداي) عبر فزان، إلا إنه قد قتل على اطرافها سنة 1863م، ليلقى نفس مصير مواطنه (ادوارد فوجل) الذي قتل في (واداي) أيضا سنة 1856م (Wright, 2012, 90 – 91).

وكانت منطقة جنوب شرق ليبيا ومدينة (الكُفرة) تحديداً تمثل محور اهتمام (رولفس) منذ أواخر ستينيات القرن التاسع عشر، خاصة وإن هذه المنطقة لازالت حينها خارج الحدود السياسية لولاية طرابلس الغرب (ليبيا)، ولعل هذا هو سبب اهتمام (رولفس) بالحركة (السنوسية) التي كانت تشكل القوة المسيطرة في تلك المنطقة، فعند مرور (رولفس) بواحة (جالو) سنة 1869م، فقد حاول الوصول إلى (الكُفرة) بمساعدة تجار قبيلة (المجابرة) المتمرسين في ارتياد هذا الطريق، وقد طلب من شيخ قبيلة (المجابرة) أن يساعده بهذا الخصوص؛ غير أن الشيخ رفض مساعدة (رولفس)، ويعلل الأخير هذا السلوك من الشيخ بأن (المجابرة) يخشون من أن تغلغل الأوروبيين في الصحراء سيهدد تجارتهم مع (واداي) (Rohlfs, 1871, 65).

وقد جاءت أولى محاولات (رولفس) لاستكشاف محيط (الكُفرة) من خارج الأراضي الليبية، وبالتعاون مع جهة غير ألمانية، وذلك عندما تعاون مع الحكومة المصرية سنة 1873م للقيام برحلة لاستكشاف واحات الصحراء الليبية – الصحراء الغربية المصرية – (الداخلة – الخارجة – الفرافرة – سيوة)، وعلى الرغم من حشد (رولفس) لمجموعة من العلماء لمرافقته خلال هذه الرحلة مثل (زيتل – اشيرسون – جوردن) (Meredith, 2012, 145) إلا إن الأغراض السياسية تبدو غير مستبعدة، خاصة وأن الحكومة المصرية كانت ترغب بتأكيد سيادتها على واحات الصحراء الليبية، ومع أن هذه الرحلة لم تحقق أية نتائج بشأن (الكُفرة)؛ إلا أنها تعكس اهتماماً واضحاً بالصحراء الجنوبية الشرقية من ليبيا، ولا يجب إهمال مسألة تزامن هذه الرحلة مع رحلة (غوستاف ناختيجال) التي شملت ممالك جنوب ووسط (تشاد) خلال الفترة من 1870– 1874م (Boulvert, 2019, 69– 70) ما يوحي بأن نشاط (رولفس) كان مرتبطاً بأنشطة رحالة ألمان آخرين، خاصة وأن (ناختيجال) قد نجح خلال هذه الرحلة في حلّ عقدة (واداي) الألمانية، والتي سبق أن اودت بحياة إثنين من الرحالة الألمان.

وفي سنة 1878م يعود (رولفس) مجدداً إلى الأراضي الليبية بعد غياب حوالي تسع سنوات، وهذه المرة كان (رولفس) يخطط لرحلة طويلة تنطلق من طرابلس إلى (الكُفرة)، ثم يتابع رحلته إلى (واداي)، ومنها إلى بحيرة تشاد، وكان (رولفس) يقوم بهذه الرحلة كمندوب شخصي عن قيصر ألمانيا، والذي كلفه بتوصيل رسالة ومجموعة هدايا إلى ملك (واداي)، تمهيداً لعقد صداقة بين ألمانيا والمملكة التشادية، كما أن (رولفس) كان معنياً بدراسة خطوط تقسيم المياه بين نهري (الكونغو) و(شاري) والتي ستكون حدوداً لمناطق النفوذ بين المستعمرات الألمانية والفرنسية والبلجيكية في وسط افريقيا (Guenther, 1912, 173 – 174)، ولو قُدِّر النجاح لهذه الرحلة لكان (رولفس) أول رحالة أوروبي يصل (واداي) من الشمال، ولَخَطَتْ ألمانيا أول خطوة للحصول على طريق شمالي يربطها ببحيرة (تشاد).

وبمجرد وصوله إلى واحات (جالو – أوجلة) فقد قوبل بموقفٍ معادٍ من قبل السكان وغالبيتهم من التجار الذين ينشطون على طريق (بنغازي – الكُفرة – ابشا)، وكانوا يخشون التغلغل الألماني في هذه الجهات خوفاً على تجارتهم، ولهذا فقد رفض التجار والادلاء الصحراويون مرافقته إلى (الكُفرة) رغم المكافئات المجزية التي وعدهم بها(Rohlfs, 1881, 207 – 210) ، أما في (الكُفرة) فقد تعرض للهجوم من قبل زعماء القبائل، وهم في غالبيتهم تابعين للحركة (السنوسية)، والتي تدخلت اخيراً لإخلاء سبيله والسماح له بالعودة إلى (بنغازي) (Cora, 1913, 14 – 26)، ومما يجدر الإشارة إليه أن (رولفس) قد استبقى مرافقه الألماني (أنتون شتيكر) في (بنغازي) لمتابعة سير التحقيقات واستعادة الأجهزة التي يدعي أنها سلبت منه في (الكُفرة)، ما يعني أن (رولفس) لا يزال يطمح إلى أن يقوم مساعده (شتيكر) بمواصلة الرحلة إلى (واداي)، غير أنه بعد أن تأكد من استحاله هذا الأمر فقد استدعى (شتيكر) للحاق به إلى الحبشة حيث جرى تكليفهما بمهمة جديدة هناك (Stecker, 1880, 507).

المبحث الثالث: مقترح رولفس بإنشاء مستعمرة ألمانية شمال شرق ليبيا

عندما غادر (رولفس) الأراضي الليبية سنة 1879م، فإنه لم يعد إليها بعد ذلك، حيث انشغل بمهام أخرى في الحبشة وتنجانيقا، واستقر بعد ذلك في ألمانيا، غير إنه في سنة 1880م قد عاد إلى اهتمامه بالأراضي الليبية – ولو عن بُعد – عندما طرح مقترحه بشأن استعمار برقة وكانت فكرة (رولفس) ترتكز على نقل أعداد من الفلاحين الفقراء الألمان وخاصة من اليهود وتوطينهم في برقة، (Rohlfs, 1880, 29)، والواقع أن هذا المشروع تعود جذوره إلى فترة مبكرة من القرن التاسع عشر، ففي سنة 1822 كان الجغرافي الألماني (كارل ريتر 1779 – 1859) قد لمّح إلى احتمال قيام إحدى القوى الأوروبية بالاستيلاء على برقة (Ritter, 1822, 952).

ويرى الباحثان أن هذا المشروع كان سيعطي نتيجتين مزدوجتين؛ إذ إنه سيجعل ألمانيا تحصل على منطقة نفوذ على ساحل شمال أفريقيا تتوسط مصر وتونس، كما أن فكرة التخلص من اليهود لا تبدو مستبعدة، ومن ناحية أخرى يمكن اعتبار دعوته لتوطين اليهود الألمان في برقة أنها هي الأساس الذي انطلقت منه مشاريع الاتحاد اليهودي العالمي بتحويل الجبل الأخضر إلى وطن قومي لليهود، وقد استمر نشاط الجمعيات اليهودية بهذا الاتجاه حتى سنة 1908م.

وكان رولفس يراقب عن كثب مخططات (الرابطة اليهودية العالمية) في لندن والتي كانت تسعى لتوطين يهود تونس والجزائر في منطقة (الجبل الأخضر) شمال شرق ليبيا، ورأى (رولفس) أن هذه المخططات لن تعرقل مشروعه؛ بسبب قلة أعداد اليهود المتوقع توطينهم من قبل الرابطة، وبالتالي يمكن استيعابهم بسهولة (Guenther, 1912, 258).

وحين أصدر الإيطالي (أتيليو برونيالتي) تقريره عن تعداد يهود أفريقيا سنة 1883م والذي قدر فيه تعداد يهود ليبيا بحوالي 100 ألف نسمة، سرعان ما تصدى (رولفس) لهذا التقرير موضحاً مدى المبالغة التي اعتمدها (برونيالتي) مؤكداً أن يهود ليبيا لا يمكن أن يتجاوز عددهم 30 الفاً، وإن البؤر اليهودية في البلاد تنحصر في مدينتي طرابلس وبنغازي وبعض المدن الساحلية والجبلية، ولا وجود لهم في الدواخل والمناطق الصحراوية (Rohlfs, 1883, 211 – 213).

ويأتي هذا المشروع في وقت كانت فيه الهجرة الألمانية إلى العالم الجديد على أشدها، وكان (رولفس) يفضل أن تتم الهجرة إلى (برقة) وليس إلى قارة أمريكا أو إلى جنوب شرق آسيا؛ لأن المهاجرين إلى (برقة) سيظلون محتفظين بولائهم وهويتهم الألمانية على عكس المهاجرين إلى امريكا والذين سيتم استيعابهم هناك وتذويبهم في مجتمعاتهم الجديدة وبالتالي تنقطع علاقتهم بوطنهم الأم، كما إن ألمانيا كانت تشعر بالقلق على جاليتها في روسيا والمعروفة بـ (ألمان البلطيق) والذين كانوا يتعرضون لطمس هويتهم الألمانية من خلال مشاريع قياصرة روسيا بفرض اللغة والثقافة الروسية عليهم (Grothe, 1903, 200) ووفقاً لرولفس فإن هذه الفئة أيضا كانت معنية بالهجرة إلى برقة.

ومن الواضح أن (رولفس) لم يكن يعمل وحيداً بهذا الاتجاه، فقد كان على اتصال وتنسيق مع رحالة ألماني آخر هو (يورغ شفاينفورت) والذي ينتمي إلى طائفة ألمان البلطيق، وقد توطدت العلاقة بينهما خاصة بعد زواج (رولفس) من ابنة أخ (شفاينفورت) (Guenther, 1912, 120 – 122) ومما يؤكد التعاون بين الإثنين هو تلك الرحلة الخاطفة التي قام بها (شفاينفورت) إلى ميناء (طبرق) في أبريل سنة 1883م، ليقدم مقترحات لتطوير ميناء (طبرق)، والذي اعتبره أكثر أهمية من ميناء (الإسكندرية)، ولم يصل (شفاينفورت) إلى (طبرق) كرحالة عادي بل إنه جاء على متن بارجة حربية ألمانية، (Schweinfurth, 1912, 261) وكأنه نوع من اختبار لرد فعل حكومة طرابلس إذا ما قامت ألمانيا بالاستيلاء على (طبرق).

وخلال عرضه لمقترحه بشأن استعمار برقة فإن (رولفس) يؤكد على أن برقة تشكل كياناً منفصلاً عن طرابلس، سواءاً من الناحية الجغرافية – حيث أن حاجزاً صحراوياً شاسعاً يفصل بين الاقليمين – أو من الناحية السياسية حيث كانت برقة وفقاً لقرارات حكومة اسطنبول الأخيرة ولاية مستقلة عن طرابلس وتابعة لحكومة إسطنبول مباشرة، وتبدو هذه الملاحظة من (رولفس) كحُجّة ضد أي اعتراض من حكومة طرابلس الغرب إذا ما احتجت على أية إجراءات ألمانية في برقة، والواقع أن (رولفس) كان جاداً في عرضه لهذا المشروع، بحيث لم يهمل أية مسألة متعلقة به، حيث دعا حكومة بلاده إلى ضرورة الاتصال بزعيم الحركة (السنوسية) والذي سيسهل عملية التواصل مع الأهالي خاصة فيما يتعلق بعملية شراء الأراضي (Guenther, 1912 259). وقد كان (رولفس) يُلِحّ على حكومة بلاده ويعيد إرسال نفس المقترح مستعيناً بوساطة وزير المستعمرات وبعض الشخصيات صاحبة النفوذ، واستمرت محاولاته هذه حتى سنة 1890م (Knoll & Hiery, 2010, 22) ويمكننا أن نُرجِع سبب إلحاحه إلى النشاط الملحوظ للرحالة الإيطاليين في ليبيا وفي برقة تحديداً، مثل (جوسيبي هايمان) 1880م و(مانفريدو كامبيريو) و(بييترو مامولي) 1882م، (Bono, 1982, 86 – 90) والذين من الواضح أنهم كانوا طليعة مشروع إيطالي لاحتلال البلاد.

غير إن هذا المقترح قد تم رفضه، ويرجع سبب رفض الحكومة الألمانية لهذا المشروع إلى العلاقات الودية التي كانت تربطها بالدولة العثمانية (Christensen, 2017, 1 – 4)، كما إنه من الواضح أن ألمانيا كانت تنتهج اسلوب الهيمنة الامبريالية القائمة على فرض الوجود السياسي والاقتصادي، ولا تفضل الانخراط في مشروع استعماري تقليدي يقوم على الاحتلال الصريح والمباشر، بالإضافة إلى إن هذا المقترح قد جاء في وقت كانت فيه ألمانيا قد انضمت إلى التحالف الثلاثي والذي يجمعها بالنمسا وإيطاليا، ووفقاً لمقتضيات هذا التحالف فقد اعترفت ألمانيا بالمصالح الإيطالية في ليبيا سنة 1882م، حيث كانت إيطاليا تخطط مبكراً للاستيلاء على ليبيا وهي آخر الولايات العثمانية المتبقية في شمال أفريقيا (McClure, 1913, 14 – 15) ثم إنه بعد سنة واحدة من هذا المقترح فقد استضافت ألمانيا مؤتمر (برلين) 1884–1885م والذي حدد مناطق النفوذ الأوروبية في افريقيا، وكان نصيب ألمانيا كل من: (الكاميرون – تنجانيقا – التوغو – ناميبيا) (Friedrichmeyer et al, 1998, 10)، وهذا يعني إلى حد بعيد خروج ليبيا من أولويات السياسة الألمانية.

المبحث الرابع: القلق الفرنسي من نشاط رولفس في ليبيا

ومن خلال تتبع مسارات رحلات (رولفس) في ليبيا ما بين 1864 – 1879م، فإن نشاطه في كثير من الأحيان كان موجهاً ضد فرنسا تحديدًا؛ سواءً فيما يتعلق بمحاولاته المتكررة للتقرب من الحركة السنوسية، وهي محاولات كانت تثير قلق فرنسا ممثلة في قناصلها ومخبريها في ليبيا؛ أو ما يتعلق بنشاطه على الحدود الليبية – التونسية – الجزائرية، والتي تستهدف إثارة السكان ضد الوجود الفرنسي، ويأتي اهتمام (رولفس) بواحة (غدامس) والتي زارها ثلاث مرات ما بين سنتي 1864 – 1865م في وقت كانت فيه فرنسا مهتمة بهذه الواحة وتسعى إلى ضمها، حيث كانت فرنسا قد ارسلت عداً من الرحالة إلى غدامس ما بين سنتي 1856 – 1862م، (بونيمان – اسماعيل ابو دربة – بعثة ميرشير – دوفيريه) (Duveyrier, 1864, 6) وكانت فرنسا قد احرزت تقدماً ملحوظًا في هذه المنطقة عن طريق بعثاتها الاستكشافية، خاصة وأن المستكشفون الفرنسيون قد نجحوا في كسب صداقة عدد من الزعماء المحليين خاصة من قبائل (التوارق)، وقد تم توقيع معاهدة بين الحكومة الفرنسية – ممثلة بأحد مستكشفيها وهو العقيد (ميرشير) – وهؤلاء الزعماء سنة 1862م حصلت بموجبها فرنسا على مزايا عديدة (Brower, 2011, 237) ومن المرجح أن اهتمام (رولفس) بهذه المنطقة كان بهدف ضرب المصالح الفرنسية.

وفي سنة 1870م كان ل(رولفس) نشاطاً ملحوظًا في منطقة الحدود التونسية الليبية الجزائرية، وهذه المرة في مهمة استخباراتية صحبة مواطنه (فيتزشتاين) بهدف إثارة القلاقل ضد الوجود الفرنسي في الجزائر، والذي من شأنه أن يجبر فرنسا على تشتيت جهودها العسكرية، وذلك تمهيداً لحرب (بروسية – فرنسية) على الساحة الأوروبية (Heine, 1982, 60 – 61).

أما عن مقترحه بإنشاء خط للسكك الحديدية عبر الصحراء الكبرى من طرابلس إلى سواحل الأطلسي، سنة 1876م على هامش مؤتمر (بروكسل)؛ فقد اثار هذا المقترح مخاوف فرنسا من أن هذا المشروع سيؤدي إلى تحويل خطوط التجارة الصحراوية نحو طرابلس، وبالتالي فقد تلقفت فرنسا هذا المقترح وعملت على تطبيقه وفقاً لمصالحها، وذلك بمد خط للسكك الحديدية يربط حوض النيجر بسواحل المتوسط، ولكن عبر الأراضي الجزائرية وليس الليبية، وهذا يضمن سيطرة فرنسا على خطوط التجارة الصحراوية، وبالفعل فقد شرعت فرنسا بتنفيذ هذا المشروع وتم إرسال بعثة (فلاترز) لدراسة مسار هذا الطريق سنة 1879م (Brosselard, 1883, 1 – 5).

وفيما يخص القلق الفرنسي من محاولات (رولفس) الاتصال بالسنوسيين فقد بدأ هذا القلق منذ سنة 1869م خلال رحلة (رولفس) من طرابلس إلى الإسكندرية، مروراً بواحات برقة والتي تمثل منطقة نفوذ هامة للحركة السنوسية، ويأتي القلق الفرنسي بناءً على تقارير نائب القنصل الفرنسي في بنغازي (ريكارد) والذي حذر من تحالف ألماني – سنوسي، يضاف إلى ذلك تزايد أعداد اللاجئين الجزائريين المناوئين لفرنسا والذين كانوا يلقون دعماً وتعاطفاً من الحركة السنوسية، ويخشى (ريكارد) من أن يتم توظيف هؤلاء اللاجئين من قبل ألمانيا لزعزعة الوجود الفرنسي في الجزائر (Traiud, 1995, 161)، وبالفعل فقد حاول (رولفس) مقابلة زعيم الحركة السنوسية (محمد المهدي) سنة 1869م وذلك أثناء مروره بالقرب من واحة (الجغبوب) مركز الحركة (السنوسية) في طريقه إلى واحة (سيوة)، غير أنه فشل في ذلك، واكتفى بمقابلة (احمد البسكري) أحد المقربين من (المهدي)، وكان مرافقوه المحليون قد حذروه من دخول واحة (الجغبوب) حيث سيكون مصيره الموت على أيدي (السنوسيين)؛ ولكن بعد وصوله إلى واحة (سيوة) والتي رغم وقوعها تحت السيطرة المصرية إلا أنها تمثل معقلاً للحركة (السنوسية)، فقد ابلغه المشايخ هناك بأن مخاوفه من (محمد المهدي) لا أساس لها؛ وإنه كان سيستقبله بشكل ودي (Rohlfs, 1871, 82 – 83)، كما اشيعت تقارير فرنسية عن مقابلة تمت سنة 1874م بين خمسة من الألمان في (سيوة) مع (احمد البسكري) سالف الذكر، والذي أمره (المهدي) بعدم السماح للألمان بتجاوز (سيوة) جنوباً أو غرباً، (Traiud, 1995, 220) ومع عدم ذكر اسم (رولفس) بين هؤلاء الألمان الخمسة؛ إلا إنه من

المرجح أن يكون الألمان الخمسة هم مرافقوه في رحلته إلى واحات الصحراء الليبية 1873 – 1874م، طبقا لتوافق عاملي الزمان والمكان.

وفيما يتعلق برحلته إلى الكفرة سنة 1878 – 1879م فقد احدثت هذه الرحلة قبل انطلاقها ضجة كبيرة في أوروبا، حيث تم تصويرها كأشبه بحملة عسكرية، وهذا ما دفع (رولفس) إلى اصطحاب عدد من العلماء ربما لإضفاء صورة علمية تبعد عنه أية شكوك، وكانت الدوائر السياسية في فرنسا تحديدًا تراقب بقلق مسار هذه الرحلة؛ وقد تناولت الصحف الفرنسية هذه الرحلة بوصفها تمهيد ألماني للسيطرة على البلاد، ولوضع حجر الأساس لمشروع السكك الحديدية الذي سيمتد من طرابلس إلى بحيرة تشاد (Rohlfs, 1881, 38)، كما نظرت المخابرات الفرنسية إلى (رولفس) على إنه مبعوث من طرف الحكومة الألمانية لإقامة علاقات مع الحركة (السنوسية)، ما يعني بروز محور جديد يعرقل مشاريع فرنسا في تشاد ويزعزع تواجدها في الجزائر، ولهذا فقد كان (رولفس) أثناء تواجده في الأراضي الليبية خلال هذه الرحلة تحت مراقبة القنصل الفرنسي في طرابلس (ديلا بورت) ثم خَلَفِه (شارل فيرو) ونائب القنصل في بنغازي (ريكارد) (Traiud, 1995, 266)، ووفقاً لبعض التقارير التي تؤكد بأن ألمانيا قد سعت في وقت سابق للحصول على مساعدة (السنوسية) في حربها ضد فرنسا أوائل سبعينيات القرن التاسع عشر؛ فإن القلق الفرنسي لم يكن يفتقر لمبررات وجيهة.

إن محاولات (رولفس) للتقرب من السنوسية والتحالف معها وعلى الرغم من إنه أمر غير مؤكد ويبقى مجرد تخمينات ومخاوف فرنسية، فقد دخلت هذه الفكرة ضمن استراتيجية فرنسا في شمال أفريقيا، ففي مطلع تسعينيات القرن التاسع عشر اطلق بعض المفكرين الفرنسيين فكرة التخالف مع مسلمي شمال أفريقيا ضد أية قوة أوروبية تحاول التوسع في المنطقة، وكانت بريطانيا هي المستهدفة بهذا التحالف، ويقوم هذا التحالف على التقرب من الحركات الدينية ومن بينها السنوسية، وكان الماركيز (دي موريس) رائدًا لهذا الاتجاه من خلال اشرافه على مؤتمري باريس وتونس سنتي 1895 – 1896م، ثم رحلته إلى مدينة غدامس سنة 1896م، وتكليفه للتونسي (محمد بن عثمان الحشائشي) بالتوجه الى مدينة الكفرة مركز الحركة السنوسية للتواصل مع زعيم الحركة (محمد المهدي). (Martel, 1965, 681 – 683; Traiud, 1995, 378 – 379)

خاتمة

إن نشاط الرحالة الأوروبيين والألمان تحديدًا في ليبيا كان في كثير من الأحيان ينطلق من دوافع سياسية، ويعتبر الألماني (غيرهارد رولفس) النموذج المثالي بهذا الخصوص.

ويعتبر (رولفس) هو أكثر الرحالة الألمان – بل والأوروبيين جميعاً – من حيث النشاط الاستكشافي في الأراضي الليبية؛ فقد زارها أربع مرات خلال الفترة ما بين 1864 – 1879م.

كما يتميز (رولفس) بغزارة مؤلفاته والتي خص فيها ليبيا بكثير من الاهتمام، كما أن هذه الكتابات قد ركزت على النواحي السياسية بشكل واضح، وتتميز كتابات (رولفس) بأنها صريحة وواضحة في طرحها السياسي، خاصة في المرحلة الأخيرة من حياته.

من الواضح أن (رولفس) لم يكن مستكشفاً عادياً؛ كغيره من الرحالة الذين يمارسون العمل الاستكشافي بشكل عفوي أو انطلاقاً من أغراض علمية بحتة، إذ إن أول ما يلاحظ على (رولفس) هو علاقاته الشخصية مع كبار رجال السياسة سواءً في ألمانيا أو في ليبيا أو غيرها من البلدان، حيث ارتبط بعلاقات شخصية مع بعض الوزراء الألمان، والتقى مراراً بالمستشار (بسمارك)، والقيصر الألماني (فيلهلم الثاني)، ثم إن رولفس قد مارس العمل السياسي المباشر بعد تعيينه قنصل عام لألمانيا في تنجانيقا سنة 1884م.

كما أن (رولفس) كان يُستقبل بحفاوة واهتمام حتى خارج ألمانيا، فقد تم استقباله من طرف حكام طرابلس في كل رحلاته، حيث قابل (محمود نديم باشا) سنتي 1864م و1865م، كما قابل (علي رضا باشا) سنة 1869م، و(محمود

صبري باشا) سنة 1878م، والتقى أيضا بـ (علي كمالي) متصرف برقة سنة 1879م، يضاف إلى ذلك لقاءاته مع (الخديوي اسماعيل) في مصر سنة 1873م، و ملك إيطاليا (فيكتور ايمانويل الثاني)، سنة 1879م، إن هذه العلاقات واللقاءات المباشرة مع أعلى المستويات السياسية يعكس وبوضوح مدى الطبيعة السياسية لرحلات (رولفس) وانشطته في ليبيا وأفريقيا عموماً.

إن المحاور الرئيسية لنشاط (رولفس) في ليبيا تتمثل في اقناع الحكومة الألمانية بأهمية موقع ليبيا كمنفذ نحو وسط افريقيا، سواءً عبر طريق طرابلس – مرزق، أو طريق بنغازي – الكفرة، وذلك تزامناً مع نشاط ألمانيا السياسي والاقتصادي في منطقة بحيرة تشاد، بالإضافة إلى اقتناعه بجدوى إقامة مستعمرة ألمانية في برقة.

ويُلاحَظ أنه على الرغم من رفض الحكومة الألمانية لمقترحات (رولفس) بشأن ليبيا؛ إلا إنه وعلى المدى البعيد فقد تمت إعادة إحياء هذه المقترحات وتبنيها من قبل جهات غير ألمانيّة في الغالب.

Sources & References

Sources

1. Brosselard, Henri. (1883), Voyage de la mission Flatters au pays des Touareg Azdjer, Libraries Furne, Paris.
2. Central Blatt Für Das Deutsche Reich, Berlin, 1884.
3. Cora, Guido. (1913), Dottor Gherardo Rohlfs Tripolitania: Viaggio da Tripoli all'oasi di Kufra, Casa Editrice Francesco Vallardi, Milano.
4. Duveyrier, Hinri. (1864), Les Touareg Du Nord, Paris.
5. Ewald: Christian Ferdinand, (1842), Rise Von Tunis Nach Tripolis, Nuremberg.
6. Grothe: Hugo, (1903), Auf Türkischer Erde, Allgemeiner Berlin Fur Deutsche Litterature, Berlin.
7. Guenther: Konrad, (1912), Lebensbild Eines Afrika Forschers, Verlag Von Fredrich Ernst, Zwiter Auslage, Freiburg.
8. Heine: Peter, (1982), Das Rohlfs/Wetzschtein-Unternehmen in Tunis Während Varie Deutsch Französischen Krieges 1870/71, (in) *Die Welt Des Islam's*, Vol xxii, 1982.
9. Lewin: Evans, (1914), The Germans in Africa, oxford University press.
10. McClure: William Kidston, (1913), Italy in North Africa: An Account of the Tripoli Enterprise, Constable Co, London.
11. Nachtigal: Gustav, (1879), Sahara und Sudan, Erster Theil, Berlin.
12. Ratzel: Frederick, (1906), Kleinen Schriften, Erster Band, Verlag Von Oldenburg, München und Berlin.
13. Ritter: Karl, (1822), Die Erdkunde in Verhältniß zur Natur und zur Geschichte des Menschen, Berlin.
14. Rohlfs: Gerhard, (1865), Breif Des Herrn Gerhard Rohlfs an Herrn Dr H Barth, (in) *Zeitschrift fur Allgemeine Erdkunde*, Vol 18, Berlin.
15. (1866) ----------Letter to Royal Geographical society, (in) *Proceedings of African Association*, Vol 11th, London.
16. (1867) ---------- Reise nach Afrika Von 1865 bes 1867, (in) *Petermann Mittheilungen*, Gutha.
17. (1871) ---------- Von Tripolis Nach Alexandrien, Band 2, Bremen.
18. (1874) ----------(A). Adventures in Morocco, Royal Geographical Society, London.
19. (1874) ----------(B) Quer durch Afrika Reise vom Mittelmeer nach dem Tschad-See und zum Golf von Guinea, Band 1st,, Brucckhaus, Leipzig.

20. (1880) ---------- Kolonization in Cyrenaika, (in) *Uncere* Zeit (Journal), Zwiter Band, Leipzig.
21. (1881) ---------- (A). Neue Beiträge zur Entdeckung und Erforschung Afrika, Kessel.
22. (1881) ----------(B). Kufra: Reise Von Tripolis Nach ause der kufra, Bruchaus, Leipzig.
23. (1883)---------- Die Anzahl Der Juden In Afrika, (in) *Petermann Mittheilungen*, Band 29, Justs Perthes, Gutha.
24. Russelli: Mario, (1914), L'angolo più remoto del Fezzan : Le Oasi di Uau, (in) *Rassegna Nazionale*, Vol cxcvii, Firenze.
25. *Scottish Geographical Magazine*: (1897), Vol 13, Edinburg – Scotland.
26. Stecker: Anton, (1880), Lettera Del Dr Stecker Del Dr Gherardo Rohlfs, (in) *Bollitino Di Societa Geografica Italiana*, Vol xvii, Roma.

References

1. Allaby, Michael. (2010), Exploration: New Lands, New Worlds, New York.
2. Baaijens, Arita. (2008), Desert Songs A Woman Explorer in Egypt and Sudan, American University in Cairo .
3. Benton, Askil. (1968), Language and Peoples of Bornu, 2nd Edition, Thomas Nelson Printer, London.
4. Bolte, Gunter. (2019), Gerhard Rohlfs : Anmerkungen Zu Einem Bewegten Leben, Edition Falkenberg, Bremen.
5. Bono, Salvatore. (1982), Storiografia e fonti occidentali sulla Libia, 1510-1911, Edit 2, L'erma di Bret – Schneider, Roma.
6. Boulvert, Yves. (2019), Explorations in Afrique Centrale, Paris.
7. Brower, Benjamin Claude. (2011), Desert Named Peace The Violence of France's Empire in the Algerian Sahara, 1844-1902, Columbia University Press.
8. Christensen, Peter. (2017), Germany and the Ottoman Railways Art Empire and Infrastructure, Yale University press, New Haven / London.
9. Knoll, Arthur & Hiery, Hermann, (2010), The German Colonial Experience Select Documents on German Rule in Africa – China and the Pacific: 1884-1914, Universitat of America Press.
10. Friedrichmeyer: Sara et al, (1998), The Imperialist Imagination German Colonialism and Its Legacy, Universitat of Michigan Press.
11. Lebrenz: Boris & Rauch: Crestopher, (2019), Life and Collection Johan Wetzschtein, Manuscripts Politics and Oriental, brill, Leyden.
12. Martel, André. (1965), Les confins saharo-tripolitains de la Tunisie, 1881-1911, Tome 1, Presses Universitaires de France.
13. Meredith: Don, (2012), Varieties of DarknessThe World of The English Patient, Hamilton books, Maryland.
14. Pritchard: Evans, (1949), The Sanussi of Cyrenaica, Clarendon Press, Oxford.
15. Reiman – Dawe: Tracey, (2021), The Role of US Railroads in the German Expansionist Mindset of Gerhard Rohlfs (Chapter in book) German and United States Colonialism in Connected World, Edited by Janne Lahte, Universitat of Helsinki – Finland.
16. Traiud, Jean Louis. (1995), Le Legende Noire De La Sanussiya: 1840 – 1830, Vol 1st, Paris.
17. Willink: Robert Joost, (2011), Fateful Journey, Amsterdam University press.
18. Wright, John. (1989), Libya Chad and The Central Sahara, Hurst and Company, London.
19. (2011) .----------A history of Libya, Hurst and company, London.